

سقف الواحة 08: نحو نموذج جديد في العالم القروي والواحي المغربي



الحلول موجودة، والخبرات والتقنيات متوفرة!

لقد ترك مخطط المغرب الأخضر بصماته، لكنها لم تكن كما كنا نأمل، إذ لا يمكن للمكثف أن يتوافق مع الشمولي! ومع التغيرات المناخية وضغوط ندرة المياه، فإن الرؤية الاقتصادية البحتة لهذه المناطق القروية والواحية قد انحرفت بالاهتمامات عن الأهداف الحقيقية لما يمكن وما يجب أن تكون عليه الاحتياجات الجديدة للتنمية البشرية في العالم القروي والواحي. إنه ثقل يزداد يوماً بعد يوم، وسيزداد أكثر دون معرفة إلى أي اتجاه سيؤول، إذا أصررنا على تجاهله!

لقد تم، عبر المبادرة الوطنية للتنمية البشرية (INDH)، إشغال المجتمع المدني في وظائف ومهام. لكن، للأسف، تم تغيب الجوهر المنشود المتمثل في الأنشطة الاقتصادية المدرة للدخل، وذلك بتطوير العمل الجماعي في المرحلة الأولى بدلاً من التركيز على العمل التعاوني! ولا شك أن الحاجة كانت ملحة لجعل السكان يدركون المعايير المدنية، إذ كانوا حتى ذلك الحين مستبعدين كثيراً عن النظام التعددي الذي يلزم بالوعي بالدولة! وفي ذلك، استيقظ وعي!

لكن حتى اليوم، لم نجد سوى حل "الرش بالتكوينات"، وكلها غير ملائمة، وغير مُخطط لها ضمن سياق يأخذ بعين الاعتبار الفروقات في احتياجات خلق فرص العمل بين المناطق القروية والحضرية!

لقد حان الوقت للاعتراف بأن هذا الحل لم يؤد سوى إلى تغذية، بل وسيستمر في تغذية، الهجرة القروية إذا لم يتخذ أي إجراء! فهو لم يستطع مطلقاً الاستجابة لاحتياجات الاستثمارات المحلية القادرة على خلق وظائف مناسبة لهذه البيئات الواحية والقروية! إن عدم أخذ طلبات المجتمع المدني المحلي بعين الاعتبار لا يؤدي سوى إلى زيادة معدلات البطالة بسبب إدخال موارد بشرية غير ملائمة لهذه الاندماجات الاقتصادية والصناعية والحضرية!

"العالم القروي والعالم الواحي، بهويتهما الأصيلة، يُحددان هذه الاحتياجات والضرورات للتكيف الإيكو-اجتماعي الذي يسمح بتحقيق وتلبية هذه الاحتياجات الجديدة. الحلول موجودة، والخبرات والتقنيات متوفرة!"

التقنيات الرقمية الحديثة، الطاقات المتجددة، المجالات التعدينية، العودة إلى أشكال الزراعة الشمولية والمعيشية، تقنيات "الخضر" يجب أن تُراجع وتُصحح لتتكيف مع هذه الاحتياجات المشتركة، مع الأخذ بعين الاعتبار إدارة الطاقة الشمسية والريحية والمياه التقليدية، مما يسمح باعتبار هذه الأراضي حاملة لاقتصادات اجتماعية "مع فرص عمل ونمو مستدام!"

الابتكار والإبداع يجب أن يكونا التربة الخصبة لهذا النموذج القروي الجديد، الذي يملك كل المقومات ليعبر عن نفسه، بشرط فتح الحوار حول الإمكانيات المختلفة لتحديد سلاسل التنمية الملائمة، مع تبني مسألة إدماج الشباب القروي والواحي، المتصلين حاليًا بشكل كامل، في تيارات النمو الوطني كهم إقليمي ومحلي.

لقد حان الوقت لاحترام هذه الهوية الجهوية، التي تشمل المناطق الخلفية التي تُشكل وتُغذي إمكانيات النمو لهذه العواصم الجهوية التي تُميز كل جهة، وذلك من خلال توجيه هذه الرسائل إلى الشباب، والمجتمع المدني، والسكان من طرف صناع القرار، وهي:

- أن يأخذوا بعين الاعتبار الحاجة إلى توطين هذه التسهيلات الحديثة، التي لا تزال حتى اليوم بالنسبة لهم مجرد سراب خاص بالمدينة!
- أن يلتزموا بالترويج والاعتراف بأهمية الاستثمار في البنية التحتية مثل الصحة، التعليم، والثقافة، كركائز أساسية لتحقيق استدامة قروية وواحية مشتركة!
- وأن يبذلوا كل الجهود لجعل هذه الرسائل الجديدة من صناع القرار تُعتبر أخيرًا إرادة حقيقية للانخراط في دعم المبدعين والمبتكرين في التنمية الاقتصادية لمناطقهم الخلفية، من خلال تحديد والعمل كمسؤولين جهويين ومحليين، الانخراط، والدعم، والتمكين داخل "أقطاب التنافسية الجهوية" لكل أشكال الاختراعات والابتكارات التي يمكن أن تحقق نموًا وفرص عمل إيكو-اجتماعية في المناطق القروية والواحية.
- وذلك مع التأكيد على وضع حد لكل تضارب مصالح وسوء الأمانة المتكررين، الذين لم يفعلوا حتى الآن سوى إيقاف كل إمكانية لتنفيذ المشاريع المقترحة.

باتريك سيمون – طاطا – 9 ماي 2025